

جماليات مجازي المرسل والعقلي في مراثي شعراء ميدغري التي قيلت في الأستاذ الدكتور تجاني المسكين. (دراسة تحليلية بلاغية)

الدكتور/ يونس بكر عبد الله

Zannun6@gmail.com

08028787220

المحاضر بقرية اللغة العربية، إنغالا-نيجيريا

و

الدكتور/ شطيمه المسكين

08032835360

المحاضر: قرية اللغة العربية، إنغالا-نيجيريا

الملخص

هذه الورقة بعنوانها: "جماليات مجازي المرسل والعقلي في مراثي شعراء ميدغري التي قيلت في الأستاذ الدكتور تجاني المسكين: دراسة تحليلية بلاغية" عبارة عن توضيح ما للأستاذ الدكتور تجاني المسكين من الثقافة العربية وغير العربية، ومساهمته في تطوير الأدب العربي النيجيري، والشعر العربي البرناوي ودور شباب ميدغري في الأدب العربي، وخاصة فن الرثاء، وأسلوبهم في استخدام الصور البيانية والملاحم الجمالية في نظم القريض. وتناولت الورقة تصوير شخصية المرحوم من حيث ولادته ونشأته العلمية، ومساهماته في خدمة الدين واللغة العربية. الكلمات المفتاحية: جمليات، المجاز، المرسل، العقلي، المراثي

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فهذا البحث بعنوانه: "جماليات مجازي المرسل والعقلي في مراثي شعراء ميدغري التي قيلت في الأستاذ الدكتور تجاني المسكين: دراسة تحليلية بلاغية" عبارة عن توضيح ما للأستاذ الدكتور تجاني المسكين من الثقافة العربية وغير العربية، ومساهمته في تطوير الأدب العربي النيجيري،

والشعر العربي البرناوي ودور شباب ميدغري في الأدب العربي، وخاصة فن الرثاء، وأسلوبهم في استخدام الصور البيانية والملاحج الجمالية في نظم القريض. وتناولت الورقة تصوير شخصية المرحوم من حيث ولادته ونشأته العلمية، ومساهماته في خدمة الدين واللغة العربية.

وعلى هذا فإن المقالة في شوطها الأول تعطي ضوءاً عن شخصية الأستاذ الدكتور تجاني المسكين، من حيث ولادته ونشأته العلمية، ومساهماته في خدمة الدين واللغة العربية. وأما الشوط الثاني من هذه المقالة فعبارة عن تعريف المجاز، ثم تنوعه إلى المرسل والعقلي، والشوط الرابع الأخير يتمثل الخاتمة والمصادر والمراجع.

ونقاطها كالاتية:

١- نبذة تاريخية عن الأستاذ الدكتور تجاني المسكين.

٢- التعريف بالمجاز وأنواعه.

٣- المجاز المرسل والعقلي في المراثي المختارة.

٤- الخاتمة

٥- المصادر والمراجع.

نبذة عن الأستاذ الدكتور تجاني المسكين.

هو أحمد تجاني ابن الشيخ أبوبكر بن أحمد بن ميدغو كيار، بن محمد، بن مي علي بن مي حاج، بن دنامه، بن مي علي بن مي عمر، بن مي إدريس ألومه، ينتهي نسبه إلى إبراهيم وإلى سيف بن ذي يزن اليمنى^١.

ولد يوم الخميس ١٤/٠٤/١٩٥١م بحارة غلتماري. بلدة بميدغري- ولاية برنو، ونشأ تحت رعاية والديه: الشيخ أبوبكر المسكين ووالدته هاجرة، الملقبة ب(يائلاً)^٢.

بدأ حفظ القرآن الكريم على يد والده، فأدخله مدرسة معهد الشيخ أحمد أبي الفتح، وذلك في فترة ما بين ١٩٥٧ إلى ١٩٦٤م. فحفظ القرآن الكريم منذ أن كان في الابتدائية، والتحق بمدرسة علوم العربية بكنو للشهادة الثانوية، وتخرج فيها عام ١٩٧١م ودرس اللسان في اللغة العربية في كلية بايرو التابعة لجامعة أحمد بللوزاريا وقتئذ من عام ١٩٧٢ إلى ١٩٧٦م. ثم صار محاضراً في جامعة ميدغري عام ١٩٧٧م. تحصل على الأستاذية ٢ يوم يناير عام ١٩٩٧م، من أكاديمية الدفاع النيجيرية كدونا، وتوفي الأستاذ الدكتور تجاني المسكين ملبياً دعوة ربه يوم عرفة بعد أن قدم خطبته الأخيرة لحجاج ولاية برنو، كرئيس هذه الرحلة المباركة أي هيئة الحجاج، وذلك يوم الخميس ١٠ من ذي

^١ أبوبكر المسكين سلسلة أنساب المسكين (مخطوط) توجد نسخة مصورة في مكتبة ابنه السيد غزالي المسكين. بحارة غلتماري، بميدغري.

^٢ يائلاً: ويراد به في لغة الكانورية: الأم الصغيرة. مثل ياغنا وباباغنا.

الحجّة عام ١٤٣٦ هـ، الموافق ٢٤ سبتمبر عام ٢٠١٥ م . وتولى مناصب عدة في ولايته وفي المستوى الفيدارالية والعالمية .

أخلاقه: ومن أخلاقه، الصبر والجود والكرم والتواضع والسماحة، وكذلك حب اليتامى وتكريم الضيف، والشعور بالانكسار وإكرام الكبير والصغير، وخير دليل قول الشاعر غرب يارو في رثائه للمرحوم:

من خلقه صدق كذاك تواضع ** سمح وعفو دائماً في عفة

حسن التعامل عرفه ببشاشة ** مقرونة بالخير دون مضرة

يقول الشاعر أبابا ثاني أيضاً:

تقي حيي زاهد متورع ** بشوش المحيا محسن للبرية

كريم سخي منفق يشبه الحيا ** فسل أهل فقر أذويه وإخوة

وله إنتاجات كثيرة: إلا أن أغلبها مكتوبة باللغة الإنجليزية:

- ورقة قدمت بعنوان " الفنان والمجتمع " مؤتمر اتحاد اللغات الحديثة ، المنعقدة في جامعة أحمد بللو زاريا، فبراير عام ١٩٧٨ م.

Modern language Association Conference held at Ahamadu Bello University,Zaria, Nigeria.February 1978.Paper presented "The Artist and Society"

- ورقة قدمت بعنوان "منهج البحث عند الكانوريين "المؤتمر الدولي حول اللغة والأدب والثقافة الكانورية المنعقدة في جامعة بايرو كنو، عام ١٩٧٩ م .

(international conference on kanuri language literature and culture held at Bayaro university kano Nigeria 1979, Paper presented through tape in" The methodology of Kanuri Research) .

- ورقة قدمت بعنوان " الإسلام ومظاهرة السود في ثورة الزنج. مؤتمر اتحاد الدراسات الإفريقية ، المنعقدة في إنديانا – جامعة بُولُومِنْتُون بالولايات المتحدة. أكتوبر ١٩٨١ م.

African Studies Association conference held at Indiana Universty Boloomington USA , October 1981. Paper presented " Islam and Black Revolt in Thawrat al- zanj".

-التعريف بالمجاز: المجاز لغة: مشتق من جاز الشيء يجوزُه.^٣ أو من جَوَزَ، وجاز المكان تركه خلفه وقطعه. وجَوَزُ الليل وسطه، وشاة جوزاء، بيضاء الوسط^٤

قال امرؤ القيس :

فلما أجرتنا ساحة الليل وانتجى ** بنا بطن ذي حفاف عقتل^٥

ويقال: أعانك الله على إجازة الصراط، وهو مجاز القوم ومجازتهم، وجاز البيع، وعبرنا مجازة النهر وهي الجسر، وهذا مما لا يجوزُه العقل^٦

^٣ الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ، (الدكتور) المرجع السابق. ص: ١٥٣-١٥٤

^٤ محمود عمر زمخشري، أساس البلاغة ، صيد بيروت : المكتبة المصرية ، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ ، ص ١٤٣.

^٥ المتبولي شيخ كبر (الدكتور) صور بيانية في شعر الشيخ الناصر كبري ، شركة القدس القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٣، ص ٢٦١.

^٦ الزمخشري ، المرجع السابق: ص: ٦٩.

واصطلاحاً: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة لإرادة المعنى الأصلي.^٧
فقد قسمه البلاغيون إلى العقلي والمرسل
(١) **المجاز العقلي**: ويكون فيه الإسناد، أي إسناد الفعل أو ما في معناه، إلى غير ما هو له. نحو قول الشاعر:

أشاب الصغيرَ وأفنى الكبد ** رَكَرُ الغداة ومُرُ العشي

فإن إسناد الإشابة والإفناء إلى كر الغداة ومرور العشي إسناد إلى غير ما هو له؛ إذ المُشَبَّه والمفني في الحقيقة هو الله تعالى فقولُه: راضية: يعني: مرضية، فأُتِيَ باسم الفاعل، ويراد به اسم المفعول، فقد أسند الرضا إلى العيشة، والعيشة لا تُرَضَّى، وإنما العيشة تُرَضَّى، فأُسند ما في معنى الفعل إلى غير ما هو له على وجه المجاز العقلي.^٨

(٢) **مجاز لغوي**: هو نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة ومشابهة، وهو نوعان:^٩
أ- الاستعارة: مجاز لغوي ولكن العلاقة فيه كان بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قائمة على المشابهة
ب- **المجاز المرسل**: هو اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.^{١٠} مثل لفظ (اليد) إذا استعملت في معنى (النعمة)، لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها، وإنما سمي مرسلًا، لأنه أرسل أي أطلق عن التقيد بعلاقة واحدة، وبناء عليه بل كانت علاقته كثيرة ومتنوعة.
صور من المجاز المرسل في المراثي المختارة:

اتخذ الشاعر بشير الحاج غاج المجاز المرسل وسيلة لبيّن ويوضح لقارئ ما في قصيدته في رثاء الأستاذ الدكتور تجاني المسكين المكان الذي دفن جسمه متفائلاً كيف يعيش في ضريحه فقال :

وَضَمَكْ أَرْضَ الوحي ضمة غابط ** كما ضن معدوم شحيح بمايولي

ثويت بها دار النعيم مجاوراً ** خيار بني حوا لقيت بها سهلاً

يتخيل الشاعر ويصور أن أرض مكة المكرمة التي ضمت بدن المراثي كما يضم مشتاق معشوقه بعد المفارقة البعيدة، وَبَخِلَتْ الأرض بعد ضمها إياه أي أرض كما يبخل الفقير الشحيح إذا وجد ما يحتاج إليه أشد حاجة. ثوى المرحوم في قبره منعماً مجاوراً قبور خيار الناس من بني حواء فرزق في قبره حياة سهلة.

^٧ محمد طاهر اللادقي، المبسط في علوم البلاغة، المكتبة العصرية صيدا- بيروت، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م ص: ١٥٩.

^٨ الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ، (الدكتور) المرجع السابق، ص: ١٦٣

^٩ المتبولي شيخ كبر (الدكتور) المرجع السابق ص: ٢٦١-٢٦٢

^{١٠} أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، المرجع السابق، ص ٢٥٢.

وعند التأمل يوجد أن الشاعر استعمل أسلوب مجاز مرسل في البيت الثاني حيث قال "ثويت بها دار النعيم" أُطْلِقَتْ أن نفس الميت تقيم في القبر، والحقيقة بدنه هو المقيم في القبر، هذا على سبيل المجاز المرسل، فقد اعتبر الشاعر الحال، فالعلاقة اعتبار الحال. (الماضية) وهذا المجاز الذي أتى به الشاعر رائع وجميل لأنه وسع معنى اللفظ وأكدته وقرر مدلول البيت بإيجاز في نفس الملتقى، كما يلاحظ أنه حاول إيجاز المعنى الذي يدور بخاطره. ولا شك في أن هذا الأسلوب يسحر عقل السامع ويسايره في المعاني التي أودعها في القصيدة.

وكذلك توسط الدكتور بشير بيري بالمجاز المرسل ليرز مشاعره في فراق الأستاذ الدكتور تجاني المسكين مبينا أدواره في خدمة مجتمعه، فقال في بائيته:

ونحتسب الفقيد لدى إلهه ** ونرجو الأجر يوما في الحساب
غدوت إلى الجنان بإذن ربي ** لما قدمت خيرا بالعجاب
توليت الرعاية والولاية ** حميت الناس من كل العقاب
هو الدكتور أستاذ الأنام ** مدرّسهم علوما بانتخاب

يقول الشاعر يحتسب الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى يوم الحساب على حزن فراق الأستاذ الذي يتفاعل ويتيقن أنه غدا إلى جنة النعيم بإذن الله، لما شوهده من قيامه بالأعمال الصالحة ومن هذه الأعمال الصالحة الخيرية التي قام بها المرحوم -توليه رعاية الناس وتربيتهم منذ النشأة وتولي حمايتهم في مواطن أعمالهم تفاديا من الغش والظلم والخيانة التي تؤدي إلى عقاب الله يوم الحشر، فالمرحوم مدرس الأنام درّسهم علوما كثيرة.

عند النظر إلى قول الشاعر "حميت الناس من كل العقاب" تجد أن المرحوم لا يستطيع أن يحمي الناس كلا من كل العقاب، وإنما يحمي بعض الناس من بعض العقاب، لأن الأستاذ هو السبب والحامي حقيقة هو الله، فقد أطلق الشاعر الكلّ وأراد به الجزء، وهذا مجاز مرسل علاقته الكلية.

وفي البيت الأخير في قول الشاعر "أستاذ الأنام مدرّسهم علوما" مجاز مرسل آخر حيث أنه أطلق الأنام ويريد بذلك بعض الأنام، ففي الحقيقة إن المرحوم لم يدرس الأنام جميعا وإنما درس البعض منهم، وقد استعان الشاعر بالمجاز المرسل ليعبر عن مدى دور المرثي له في المهنة التعليمية، والعلاقة هنا أيضا الكلية.

إن استعمال الشاعر هذا المجاز في البيتين السابقين لا يخلو من رغبته في إيجاز المعنى والمبالغة في أدائه وتقريره في ذهن المستمعين، فعندما أطلق الكل وأراد به الجزء لا بد أن ذلك يجذب انتباه القراء والسماعين حتى يعيدوا النظر في النص ليدركوا المعنى المراد فيه.

- ومن أمثلة المجاز المرسل أيضا قول الشاعر رضوان بن هارون يعبر عن أحاسيسه تجاه الأستاذ الدكتور تجاني المسكين، ويقول:

فداؤك يا كريم القوم إنا**لفي حزن لموتك في زمان
رضينا بقضاء الله فينا**ولسنا عنه في هذا بيان
ولكن في الحياة لنا شكاوى**وما كنا لدى غب بجنان

يقرر الشاعر في الأبيات السابقة أن المرثى له بعد مماته وقع الناس في حزن شديد فقد فدوه بأرواحهم بعد رضاهم بقضاء الله فيهم، بأخذ معلمهم وحببيهم في الله ، ولكن رضوا بقضاء الله ، ومع ذلك لا يزالون في الشكاوى في بقية حياتهم لغياب هذا الأستاذ المرشد المنير لهم سبيل الرشاد. بإمعان النظر في البيت الأول عند قول الشاعر: "إنا لفي حزن لموتك" يدرك قارئ استعمال المجاز المرسل ، إذ أنه سيثبت هو وغيره في الحزن، والحزن لا يمكن أن يُحل فيه الإنسان لأنه معنى من المعاني، لكن يمكن أن يحل فيه الناس في مكان يعمه الحزن، كما عم الحزن المسلمين الصالحين في نيجيريا عامة وفي ميدغري خاصة عند وصول نعي الأستاذ الدكتور تجاني المسكين، فاستعمال الحزن في مكانه مجاز مرسل أطلق فيه الحال ويراد به المحل، فعلاقة المجاز الحالية.

هذا التصوير تصوير رائع وجميل ومؤثر قد يجعل القارئ يصل إلى المعنى المراد بسرعة، حيث إن الأسلوب فيه الإيجاز، والإنسان أحيانا يجري وراء أمر موجز، وفي هذا الاستعمال تأكيد المعنى في الأذهان وتقريره في النفوس، ألا= ترى لو قال الشاعر "إننا في مكان الحزن لموتك" قد يكون هناك إطالة في الكلام وعدم الفصاحة فيه. وذلك في عدم إيجاز الكلام. -يبين الشاعر آدم الحاج يونس كيف تقتطف أصناف الناس ولا يعودون ، ويصبر أسرة المرحوم رحمة الله عليه فقال:

أين الملوك وحاشية** أين القرون الماضية
ذهب ووجاءت بعدهم** أمم وكانت فانيه
فلتصبروا وتجلدوا** يا أهله يا ناديه

يتساءل الشاعر ويقرّر أن الملوك والحواشي أي العبيد والخدام في القرون الماضية ماتوا ولم يعودوا وجاءت بعدهم أمم آخرون فأدركتهم المنية وأفتتهم ولم يعودوا، كذلك المرحوم الأستاذ الدكتور تجاني المسكين ما كان بدعا في ساحة الموت أخذه الموت ولا يعود، فنادى الشاعر أهله وأصدقاءه وأمرهم بدوام الصبر والتجلد على فقدانه رحمة الله عليه.

الظاهرة المجازية التي يمكن في هذا النموذج قول الشاعر " يناديه" لأنه نادى المكان الذي يجتمع فيه المرحوم وأصدقائه وإخوانه، غير أن المقصود من يجتمع في هذا المكان من أصدقائه وإخوانه، فهذا هو المجاز عند البلاغيين، حيث أطلق الشاعر لفظ المحل ويريد به الحال، والقرينة قوله "فلتصبروا وتجلدوا"، فإنه يطلب الفعل من العقلاء ، ولا يمكن أن يطلب الفعل حقيقة من غير العاقل، والعلاقة الحالية.

فالنكتة البلاغية هنا: استعمال الشاعر هذا المجاز الذي فيه التوسع في نطاق اللفظ ودعوى الشئ بالبيئة، وتأكيد المعنى في عقل السامع وتقريره في النفس ، كما يكتشف غرض الشاعر في إيجاز المعنى مع المبالغة فيه. وقد أعطى الشاعر اللفظ قدرة على تجاوز معناه الأصلي إلى معنى آخر مجازي، يصعب الاطلاع إليه غير متذوق المعاني البلاغية.

-ومثال آخر للمجاز المرسل قول الشاعر الحاج شطيمة المسكين، يصف المرحوم بصفات حميدة اكتسبها منذ شبابه ويقول الشاعر:

الله أكبر كان شيخا صالحا ** وهداه موخ قاذني وسقاني
شيخ رفيع في العماد وإنه ** نال الشهادة دونما التلقين
فالتمسكو عن دمعكم ولتذكرو ** من عاش مات "وكلنا من طين
بل كان حيا هذه حضراته ** جاءت لكم وجماله يغريني

يقول الشاعر إن الميت الذي عدّ فضائله كان شيخا صالحا هداه الله فقاذني إلى طريق الحق وسقاني التصوف ، وكان عظيما في قومه نال الشهادة من غير تلقين، فموته راحة له، لذا أرجو منكم يا إخواني أن تعفوا عن سيلان الدموع وأنتم تعلمون أن كل من عاش مات والله خلقنا من طين، والمرحوم حيّ، لأنّ العالم إذا مات تبقى آثاره وتعاليمه وها هي حضراته تأتي وجماله يغريني إلى فعل الخير.

إذا تأمل الملتقي قول الشاعر في الأبيات السابقة " كلنا من طين" وقوله "بل كان حيا" مجاز مرسل ، فقول " كلنا من طين" لا يقصد به حال البشر وهيتهم الراهنة ، وإنما يريد أصل أبيهم آدم حين خلقه قبل نفخ الروح، وكذلك قوله " بل كان حيا" يقصد الشاعر أحوال الميت الماضية ، وغير معقول أن يرثي الإنسان وهو حي، وإنما استعمل الكلمة واعتبار حال الميت الماضية ، فهذان من قبل المجاز المرسل، وعلاقته اعتبار الحال (الماضية).

بهذا يرى أن هذا الأسلوب يسحر عقل القارئ ويقوده إلى فهم النص فهما دقيقا، ويجعله ينصب عينه على إدراك أسرار بلاغية في الأبيات، ويساعده الأسلوب في فهم المعنى فهما دقيقا يثبت في العقول إلى الأبد. وإضافة إلى ذلك فإن اللفظين يؤدّيان المعنى بأسلوب جميل وواضح .

من نماذج المجاز المرسل ما قاله السيد الحاج شطيمة معبرا عن مشاعره في أخيه الأكبر الفريسيور تجاني المسكين الذي تولى تربيته وقيادته:-

إني علمتك عند أحمد واردا ** مستسقيا من حوضه الميموني
إني علمتك في الجنان وإنها ** معشوقة بك والحديث يقين^{١١}
إني علمتك في الجنان وإنها ** دار الصفاء ودار حور العين

في القافية عيب من عيوب القافية " الإقواء"^{١١}

يخاطب الشاعر المرحوم ويتخيل كأنه على قيد الحياة قائلاً: إني علمتك يا بن المسكين ترد حوض النبي صلى الله عليه وسلم المبارك تستسقيه شربة لا تظماً بعدها ، وإني علمت أن الجنة تشتاق إليك لأنك عملت صالحاً ومُتَّ ميتة الأبرار، وعشت صافي الضمير والجنة دار الأصفياء ، فيها حور العين أعدهن الله لعباده الصالحين، ونحسن الظن بأنك منهم.

وبإمعان النظر في قول الشاعر "إني علمتك عند أحمد واردا مستسقيا من حوضه" وقوله " إني علمتك في الجنان " مجازان ، لأن ورود حوض النبي صلى الله عليه وسلم ودخول الجنة لم يقعا عند الموت بل عند قيام الساعة وبعد الحساب، ولكن الشاعر أطلق بورود الحوض ودخول الجنة عند الموت وهو في القبر، والمقصود هو بعد قيام الساعة والحساب ، والعلاقة اعتبار ما يكون: قبر الصالحين روضة من الجنة.

يتمثل الجمال البياني في إضافة المعنى المجازي إلى المعنى الحقيقي ، ومحاولة الشاعر إيجاز معنى الأبيات وتقديره في النفوس وإلباس اللفظ معنا لا يتأتى لغير الأديب راإتيان بهذا الأسلوب البلاغي الرائع. ب- المجاز العقلي: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له عند المتكلم في الظاهر لعلاقة نحو قوله:

أشاب الصغير وأفنى الكبد ** رَكَرُ الغداة ومُرُ العشي

فإن إسناد الإشابة والإفناء إلى كر الغداة ومرور العشي إسناد إلى غير ما هو له؛ إذ المُشيب والمفني في الحقيقة هو الله تعالى فقوله: رابية: يعني: مرضية، فأتى باسم الفاعل، ويراد به اسم المفعول، فقد أسند الرضا إلى العيشة، والعيشة لا تَرْضَى، وإنما العيشة تُرَضَى، فأسند ما في معنى الفعل إلى غير ما هو له على وجه المجاز العقلي^{١٢}.

والمجاز العقلي شأنه شأن سائر أضرب المجاز- ينبغي أن يتوفر فيه ركنان أساسيان هما: القرينة الدالة على أن في الجملة مجازاً، والعلاقة التي تسوغ ذلك المجاز في العقل.

صور المجاز العقلي في المرثي المختارة

١-قال الشاعر بشير الحاج غاجي يرثي الأستاذ الدكتور معبرا عن ما يدور في خلدانه من ألم فراق أستاذه لنقرأ ما يقول:

ويذكرك الأسبوع سعيا على الصفا ** ويبكيك من قبل البكا المروة الفضل

وقفتم على الصخر المبارك وقفة ** يباهي بها رب العلا الملاء العلى

عفا الله عمن قد هفا كل هفوة ** وقد ستر الله الظلوم ومن زلا

ذكر الشاعر الأعمال التي زاولها المرحوم رحمة الله عليه أيام الحج المبارك الذي تم قبض روحه فيه ، يقول إنه سعى بين الصفا والمروة ووقف بعرفة حيث يباهي الله الملائكة الملاء الأعلى لاجتماع

¹²الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ، (الدكتور) المرجع السابق. ص: ١٦٣

الحجاج وهم يخلصون له العبادة ويتضرعون إليه رافعين أكف الضراعة ، والله عفا عن جميع من وقف بعرفة وغفر ذنوبهم وخطاياهم وستر عيوبهم وزللهم.

بتأمل البيت الأول من الأبيات يكتشف في قول الشاعر: " ويذكرك الأسبوع" وقوله يبيك من قبل البكا المروءة" إسناد الفعل إلى غير فاعله، ففي العبارة الأولى " ويذكرك الأسبوع : أسند الفعل إلى زمن الفعل " الأسبوع" وفي الحقيقة لم يذكر الأسبوع الميت ، وإنما ذكره الحجاج الذين عاشوا في ذلك الأسبوع ، ولا يمكن عادة أن يذكر الأسبوع الميت لأنه ليس كائنًا حيًا ، فهذا مجاز عقلي علاقته زمانية.

وفي العبارة الثانية " يبيك من قبل البكا المروءة الفضلى" يرى أن الشاعر أسند الفعل إلى مكان الفعل، والحقيقة يعني الساعين في المروءة، ومجازيًا أثبت الشاعر أن المروءة تبكي الميت، وعادة لا يمكن إدراك ذلك وإنما المعقول هو أن يقوم من في المروءة بالفعل، وهذا مجاز عقلي أيضا علاقته مكانية.

وقد أبدع الشاعر في هاتين العبارتين لأنه أتى بخيال رائع أظهر فيه قدرته في استعمال أسلوب مجازي فصيح وحاول فيه الإشارة إلى اتساع اللغة العربية وإلباس الألفاظ المعاني الجديدة غير المتداولة لدى العوام ، ومن خلال هذا الأسلوب المجازي يكتشف مبالغة الشاعر في ذكر درجة ومكانة المرحوم وفضله بين الحجاج الذين جاءو من كل فج عميق.

يقول الشاعر الدكتور محمد بشير بيرى في وصف غزارة علم المرحوم تجاني المسكين وفصاحته في اللغات التي يتقنها وتفننه في العلوم:-

فعنك العلم يؤخذ للروءاء** سقى الناس علما كالرضاب^{١٣}
لإرشاد الخلائق ما ونيت** ونشر الخير عند الاغتراب
فصاحتكم تغدغ في القلوب** تهز منابر عند الخطاب
لقد أتقنت كل فنون علم** وكيف خفيت في وسط التراب

يقول الشاعر الدكتور بشير بيرى في محتوى الأبيات ، أيها المرحوم يأخذ عنك طالب العلم العلوم الكثيرة، وأنت بدورك تسقيهم هذه العلوم التي تشبه الماء العذب حتى يرتووا ولا تتكاسل في إرشاد الناس ولا في نشر الخير فيهم ، خصوصا إذا صادفت بمن يحتاجون إلى الخير والمساعدة قد لا تبخل عليهم ، ولك الفصاحة عند الخطابة تحرك وتجذب القلوب وتهز المنابر والمنصات ، وإضافة إلى ذلك فإنك أحسنت فنون العلم ولا يبدو ذلك للناس إلا عند ما تلقي إليهم المقالات والخطب مثل التراب لاتعرف ما فيها إلا إذا حفرت.

بالملاحظة إلى البيت التالي:

فصاحتكم تغدغ في القلوب** تهز منابر عند الخطاب

¹³ الرضاب: الماء العذب

فإن الفعلين "تدغدغ وتهز" أسندا إلى غير فاعلهما " فصاحة" فإن فصاحة الميت لم تدغدغ في القلوب ولم تهز المنابر، ولكن هي السبب في الفعلين لذلك أسند الفعلين إليهما فهذا مجاز عقلي علاقته السببية.

فالجمال البياني في هذا التصوير يبدو جليا حين أراد الشاعر بيان الغاية في فصاحة المرثي له فعدل عن التعبير الحقيقي إلى الأسلوب المجازي ليشعر القارئ بمدى قدرة اللغة في الاتساع وتجاوز حدود الحقيقة إلى الخيال ، وإلى التجديد في الأسلوب ، ألا ترى لو قال الشاعر " تدغدغ قلوب السامعين من فصاحتكم " وتهز المنابر من نبرات فصاحتكم " لم يكن في التعبير إيجاز في أداء المعنى المراد.

عبر الشاعر آدم الحاج يونس في قصيدته البائية عن ألم موت المرحوم تجاني المسكين فأسند فعل البكاء إلى مواطن وأماكن لتبكي معه فقد أسنده فقال :-

واحر قلبي فقده ** جلل لأهل بلاده
فلتبكه نيجيريا ** أطرافها المتراميه
ولتبكه أفريقيا ** والآسيا المتساميه
بل عالم الإسلام إذ ** فقد العلوم الساميه
والجامعات جميعها ** فلتبكه متعازيه

يشتكي الشاعر ويشعر من وجع وألم في قلبه ومصائب حلت في أهل بلاده نيجيريا عامة وبرنو خاصة عند فقد هذا الأستاذ الدكتور تجاني المسكين ، ويطالب الشاعر أهل نيجيريا وإفريقيا وآسيا بل العالم الإسلامي وطلاب الجامعات ومحاضريها وموظفيها أن يبكون على حدّ سواء لفقد هذا العالم النحرير المتفنن فهو أهل لذلك لكثرة إسهاماته وأدواره في مجال التعليم والثقيف ، دوليًا وإقليميًا. في الأبيات السابقة يرى أن الشاعر أسند فعل (فلتبكه) إلى نيجيريا وأطرافها وإلى إفريقيا وآسيا وعالم الإسلام والجامعات ، وهذه كلها أماكن ومواطن لا حياة لها ولا حركة ، ولا تقوم بفعل شيء ، بل المرحوم هو القائم بالفعل.

وتتمثل القيمة الجمالية هنا حيث أن الشاعر أراد أن يشرح الدور الذي أداه المرحوم في تطوير الثقافة العربية والمعرفة في قارات العالم بتأليفات الكتب ونشر المقالات وإلقاء الخطب والمحاضرات في المؤتمرات والحفلات والمساجد ، وما قام به من التدريس والتعليم في المراحل الدراسية المختلفة. فذكرها الشاعر في الأسلوب المجازي متخيلا أداء بلاغيا للمعنى المنشود.

ويلاحظ في الأمثلة المذكورة مهارة الشاعر في اختيار علاقة الإسناد بين الأصلي والمجازي، فإسناد البكاء إلى نيجيريا وإفريقيا وآسيا والعالم الإسلامي والجامعات في العلاقة المكانية، والمتوفى الأستاذ الدكتور تجاني المسكين له أحباب وأصدقاء وطلبة العلم في تلك المناطق والأقطار.

كان السيد غزالي المسكين ممن رثوا الأستاذ الدكتور تجاني المسكين ووصفوه بأوصاف جميلة وأخلاق حميدة، وقال:

ياسيدي يا من رفعت لواءنا** ولواء جل قبيلة في الدولة
ياسيدي يا من يقود زمامنا** وزمام جل مدرس في الدولة
أشهدتني أوصاف حلم والتقى** والصبر والخلق النبيل وخلة

يقول الشاعر ياسيدي المرحوم رفعت لواء قبيلة الكانوري وما بها من المجد والكرم ورفعت كذلك قبائل أخرى مجاورة لها وذكرت ما لها من الفضائل والأمجاد في الدولة النيجيرية، وأنت تقود الزمام إلى الحق والرشاد وزمام كل من يدرس اللغة العربية في الدولة النيجيرية لأنك كنت رئيساً لقرية اللغة العربية أنغالا-نيجيريا التي يفد إليها طلاب اللغة العربية من كليات التربية والجامعات، ويا سيدي لك أخلاق نبيلة وصفات حميدة منها الحلم والتقى والصبر والخلة وغير ذلك.

إذا تأملنا الأبيات السابقة يتبين لنا أن الشاعر أسند رفع اللواء إلى المرحوم وقال: "رفعت لوائنا ولواء جل قبيلة" وأسند كذلك قيادة الزمام إلى المرحوم حيث قال :

"يا من يقود زمامنا وزمام كل مدرس" في الحقيقة ليس هو القائم برفع اللواء وقيادة الزمام وإنما هو السبب في حدوث الفعلين، غير أن الشاعر أسند إليه الفعلين، على سبيل المجاز، وهذا مجاز عقلي علاقته سببية.

فهذا التصور البياني الذي استخدمه الشاعر في البيتين أراد به أن ينشط به القارئ ويقوي المعنى في ذهنه، وليكون المعنى قويا وراسخا في عقله، ويلحظ في هذا الاستخدام للأسلوب المجازي في وقدرة اللغة على التجديد في الأساليب البلاغية.

قال الشاعر السنوسي عبد الله معبرا عن مشاعره وأحاسيسه، واستعان في ذلك بأسلوب المجاز العقلي ليأتى بالمعنى جميلاً منمقاً :-

بِمَكَّةَ صَاحَ صَوْتُ الصَّالِحَاتِ ** لَتَجَانِي شَهِيدُ عَرَفَاتِ
وَتَذُرْفُ عَيْنُهَا دَمْعًا وَدَمًا ** تَجُودُ بِسَكْمِهَا فِي النَّائِحَاتِ
وَتَدْعُو رَبَّهَا بِالْبَيْتِ طَافَتْ ** لَدَى الْعِقَابَاتِ تَرْمِي الْجِمَارَاتِ

يريد الشاعر أن يصور للمتلقي صورة النساء الحاجات الصالحات بمكة لما وصلهن نعي المرحوم رحمة الله عليه الأستاذ الدكتور تجاني المسكين فقال إنهن بكين على وفاته بدمع ودماء غزيرة تجود بها عيونهن وإذا قربت إليهن تسمع صوت بكائهن، وبعد البكاء على ألم الفراق بالمرحوم عكفن على دعوة الله حول البيت الحرام أثناء الطواف وعند الرمي بالحجارة لدى العقبات . ليغفر الله له ويرحمه ويعفو عنه ويكرم نذله ويجعل مأواه الجنة.

في البيت الثاني من الأبيات الثلاثة يرى أن فيه فعلين "تذرف وتجد" فالشاعر أسند هما إلى غير فاعلهما "عينها" ، فالحقيقة العين لا تذرف الدمع والدم ولا توجد بسكب الدمع وإنما صاحبة العين هي التي تذرف الدمع وتجد بسكبه ، ولكن مجازا أسند الشاعر الفعلين إلى العين مكان السكب الدمع والدم عند الحزن ، وهذا مجاز عقلي وعلاقته المكانية.

هذا فإن هذا التصوير الرائع الجميل، أظهر الشاعر قريحته وشاعريته، حيث أدى المعنى المقصود بطريقة موجزة بدون تكلف ولا تصنع، بدلا من أن يقول "تذرف الصالحات الدموع والدماء من عيونهن" تذرف أوجز العبارة بقوله " تذرف عينها دمعا ودما "فيلاحظ مهارة الشاعر أيضا في اختيار العلاقة بين الإسناد الحقيقي والمجازي في ذرف وسكب الدمع والدم إلى العين في العلاقة المكانية . أضف إلى ذلك إمكان الشاعر من إبراز ما للغة العربية من القدرة على الاتساع في التعبير.

- قال الشاعر السيد أبابا ثاني أبا غوني، يعبر عن شعوره ووجعه حين وافت المرحوم تجاني المسكين الوفاة، لنستمع إلى ما يقول في ذلك:

دعا ربه حسن الختام أجابه **سريع بجاه المصطفى عين رحمة
خليفة مسكين الإله لقد مضى** وإفريقيا تحتاجه وقت شدة
بأمثاله اليوم الحنيفة ترتقي**فوا حسرتا هذي البلية حلت

يريد الشاعر أن يخبر السامع والقارئ أن المرحوم رحمة الله عليه دعا ربه حسن الختام يوم عرفة وتوسل بجاه سيد الخلق فاستجاب الله دعاءه بسرعة، إذ توفي تلك الحجة في اليوم الثاني يوم الرمي ، ولقد توفي المرحوم وهو خليفة والده الشيخ أبوبكر المسكين رضي الله عنه في حال احتياج الناس إليه ليكشف عنهم الشدة في أمور الدين والدنيا، ولما لديه من العلم والثقافة، فتأسف الشاعر من موته لأن الدين الإسلامي يحتاج إلى أمثاله الذين لهم الثقافة العربية والإنجليزية ويشير إلى مكانة اللغة العربية في هذه الديار وفي العالم كله.

محل الشاهد في الأبيات السابقة قول الشعر " وإفريقيا تحتاجه"، فقد أسند الشاعر الفعل إلى غير فاعله، إفريقيا شئ معنوي لا يستطيع أن يقوم بفعل شئ لكن الشاعر تخيل وأسند إليه الفعل، والحقيقة فمكان إفريقيا المسلمون هم الذين يحتاجون إلى المرحوم رحمة الله عليه، فلا يمكن عقليا وحقيقة أن تقوم قارة إفريقيا بالفعل، هذا الأسلوب جاء على سبيل المجاز العقلي ، وعلاقته مكانية.

فالجمال البياني الذي يمكن اكتشافه في هذا التصوير هو إرادة الشاعر أن يأتي الكلام في صورة موجزة عادلة عن الحقيقة إلى المجاز ليؤدي المعنى محتويا على أغراض اللغة من السعة وقوة الأثر والجمال والصورة والخيال الجذاب والخلاب.

الخاتمة

إن هذه الورقة توضح ما للأستاذ الدكتور تجاني المسكين من الثقافة العربية وغير العربية، ومساهمته في تطور الأدب العربي النيجيري، والشعر العربي البرناوي ومساهمة شباب ميدغري في هذا المجال، وخاصة فن الرثاء، والخطوة الأخيرة في هذه الورقة عن الصور البيانية والمجاز بوجه أخص، ترافقها النتائج والمصادر:

نتائج هذه المقالة تتمثل في النقاط التالية:

- قد أورد بعض شعراء هذه البلدة (برنو) مرث كثيرة بأسلوب أدبي جميل . ثم تتراءى فيها الأستاذ الدكتور الشخصية والعلمية
- تتضمن هذه المراثي كما كبيرا من الصور البيانية وبالأخص المجاز العقلي والمرسل منها من حيث النظرية والتطبيق، وكانت سابقة للمعاني بلا تكلف

المصادر والمراجع

(أ) المصادر:

القرآن الكريم.

المراثي التي قيلت في الأستاذ الدكتور تجاني المسكين (مخطوط).

ب: المراجع:

- آبادي، محمد بن يعقوب، الفيروز. المحيط في اللغة. دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٤.
- إبراهيم مصطفى، أحمد حسن زياد، وغيرهم. المعجم الوسيط، ج/الرابع، ط/٤، مكتبة الشرق الولية مصر، سنة ٢٠١٤م.
- أبوبكر المسكين، سلسلة أنساب المسكين (مخطوط) توجد نسخة مصورة في مكتبة ابنه السيد غزالي المسكين. بحارة غلتماري، بميدغري.
- أحمد الهاشمي، (السيد). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت لبنان، ٢٠٠٤م.
- بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، ط: ٣ وكالة المطبوعات. الكويت ١٩٧٧م.
- شوقي ضيف، البحث الأدبي، الطبعة التاسعة دار المعارف. القاهرة. بدون تاريخ.
- عباس، فضل حسن (الدكتور) البلاغة فنونها وأفنانها. الطبعة الثانية عشرة، دار النفائس، عمان الأردن، سنة ٢٠٠٩م - ١٤٢٩.
- غلادني، أحمد سعيد شيخو، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. من ١٨٠٤م إلى سنة ١٩٦٦م، ط ٢، ١٩٩٣م.

البحوث الجامعية.

المتبولى شيخ عثمان كبر، صور بيانية في شعر الشيخ الناصر كبر دراسة بلاغية تحليلية . بحث تكميلي قدم إلى جامعة بايرو كنو، قسم اللغة العربية ، لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية عام ٢٠١٢م.

(ج) المقابلات الشخصية:

مقابلة مع السيد الغزالي المسكين في بيته، بحارة لوكس ميدغري ولاية برنو. بتاريخ ٢٠١٨/٠٩/١١ في الساعة ٩/صباحا.

مقابلة مع السيدة يانانا الشيخ عمر، زوجة تجاني المسكين، في بيتها، بميدغري ولاية برنو. بتاريخ ٢٠١٨/٠٦/١٠ في الساعة ١١/صباحا.

(د) المراجع الإلكترونية:

www.wikipidia.org/wiki-6/6/2019

<http://www.google.com/30/06/2019>